

أسس العدالة الاجتماعية وأثر مراعاتها على الفرد والمجتمع
(دراسة في ضوء النصوص الشرعية)

**The foundations of social justice and the effect of being observed on the
individual and society
(A study in the light of Islamic texts)**

إعداد الباحث: ياسين ربيع

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي ، دكتوراه في الشريعة ، كلية الشريعة جامعة القرويين
فاس - المملكة المغربية.

Email: Achrafy277@gmail.com

ملخص البحث:

غاية الشارع من وضع الشريعة هي تحقيق العدالة الاجتماعية والحكم بالعدل وإعطاء كل ذي حق حقه ونبذ الظلم والفحشاء والمنكر والضرب على أيدي الجناة، ذلكم هو فحوى الاستخلاف في الأرض وجوهره؛ قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ١، وقال عز من قائل: {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} ٢، وتلك هي غاية الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ قال تعالى حكاية عن نبيه شعيب عليه الصلاة والسلام: {يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} ٣.

فالعدالة الاجتماعية أصل الشريعة الإسلامية وفرعها لا تستقيم حياة الفرد والمجتمع إلا بفقده أسسها وتنزيلها تنزيلا يتماشى والسنن الكونية والشرعية لتبرز آثارها وثمراتها إلى الوجود فتحقق بذلك المهمة والغاية المنشودة.

وبما أن الإسلام وحدة متكاملة تصدر عنها التشريعات الاجتماعية والاقتصادية، فقد دعت الحاجة إلى التعرف على الأسس والقواعد التي تضمن للناس فرادى وجماعات عدالة وأمنا روحيا وماديا وتجنبهم الظلم والعدوان، وذلك في ضوء النصوص الشرعية كتابا وسنة مع الاستئناس بأقوال الأئمة وأهل العلم عليهم الرحمة.

الكلمات المفتاحية: العدالة الاجتماعية، الأسس والآثار، الفرد والمجتمع، النصوص الشرعية.

١ / الآية ٩٠ من سورة النحل.

٢ / الآية ٦٠ من سورة هود.

٣ / الآية ٨٨ من سورة هود.

The foundations of social justice and the effect of being observed on the individual and society

(A study in the light of Islamic texts)

Preparing the researcher: Yassine Rabi

Professor of qualifying secondary education / Ph.D in Sharia / College of Sharia, University of Al-Karaouine - Fez / Kingdom of Morocco

Abstract

The purpose of the Legislator from setting of the Charia is to achieve social justice and the rule of justice and give everyone his rights and the rejection of injustice and indecency and evil, and beatings at the hands of the perpetrators, That is the thrust of succession in the land and essence; the Almighty said in Surah An-Nahl verse 90: "Indeed, Allah orders justice and good conduct and giving to relatives and forbids immorality and bad conduct and oppression. He admonishes you that perhaps you will be reminded", and those are the purpose of the prophets and messengers peace be upon them.

Social justice is the source of Islamic law (Charia) and its branch does not evaluate the life of the individual and society except in the jurisprudence of its foundations and download them in accordance with the cosmic and legal ages to highlight their effects and fruits to exist, thus achieving the task and the desired goal.

Since Islam is an integral unit from which social and economic legislations are issued, a need has been identified to identify the foundations and rules that guarantee individual people and groups of justice and spiritual and material security and avoid them injustice and aggression, in light of the legal texts in the Quran and Sunnah, with Taking into consideration the sayings of the imams and scholars, have mercy on them.

Keywords: Social justice, foundations and effects, individual and society, legal texts.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
وبعد:

تعتبر العدالة الاجتماعية جزءا لا يتجزأ من تعاليم الإسلام وأخلاقه، وفصلا من فصول شريعته، وأصلا من أصول عقيدته، فهي قيمة يشترك فيها كل ما هو عقدي وتشريعي وسلوكي ينطلق ذلك من التصور العام والمتكامل لوحدة الإسلام كتابا وسنة.

يقول سيد قطب رحمه الله: «بل الإسلام وحدة متكاملة لا تقبل الفصل بين العبادة والمعاملة، أو بين العقيدة والشريعة، أو بين الدنيا والآخرة، وعن هذه الوحدة الكبرى تصدر التشريعات الاجتماعية والاقتصادية»^١.
وتبعا لذلك فقد وضع الإسلام باعتباره النظام الأليق والأصدق والأمثل لحياة البشر للعدالة الاجتماعية أسسا وقواعد تضمن للفرد والجماعة الأمن الروحي والمادي، وتحفظ لهم معاشهم ومعادهم، كما أنها تقودهم إلى كسب الرهان في القيام بمهمة الاستخلاف على الوجه الأحكم في إطار أمة هي خير الأمم.

وبناء عليه، فإن التساؤل المتعلق بهذا الموضوع يكمن في معرفة هذه الأسس والقواعد؟ وكذا تحدياتها؟ والآثار الناتجة عن مراعاتها؟

من أجل الإجابة عن ذلك حاولت جاهدا تفصيل الموضوع في ضوء رؤية متواضعة لنصوص الكتاب والسنة وأقوال الأئمة، وذلك كله وفق الخطة الإجرائية الآتية:

المحور التمهيدي: أسس العدالة الاجتماعية من منظور شرعي

وهو موزع على فقرتين اثنتين: الفقرة الأولى في مفهوم العدالة الاجتماعية، والفقرة الثانية في تحديد أسس العدالة الاجتماعية.

المحور الثاني: التحديات المعاصرة التي تواجه أسس العدالة الاجتماعية تنزيلا

والنظر في هذا المحور يتوجه في ذكر التحديات المادية (الفقرة الأولى)، وكذا التحديات المعنوية (الفقرة الثانية).

المحور الثالث: أسس العدالة الاجتماعية وأثر مراعاتها على حياة الفرد والمجتمع

وذلك تحت فقرتين: الأولى في ذكر الآثار المادية، والثانية في ذكر الآثار المعنوية.

١ / العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة سنة: (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص: ٢٦. بتصريف.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع في استيعاب أسس العدالة الاجتماعية الصادرة عن الوحدة الإسلامية المتكاملة - كما استوعبها الجيل المحمدي جيل الصحابة الكرام - هذا الاستيعاب الذي من شأنه أن يعمم الرخاء ويشيع السلم ويحقق السعادة والحياة الطيبة فينجو بذلك الفرد والمجتمع من كل بغي وظلم، وهذا كله تحقيق للمنهج الرباني والغاية الأسمى من الخلق حيث استخلفهم ووضع لهم ما يصلحهم دنيا وأخرى.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في مدى استيعاب البشرية عامة والمجتمع المسلم خاصة لأسس العدالة الاجتماعية؟ وفي مدى تطبيقهم لمقتضياتها ومشتملاتها على أرض الواقع؟ ثم في التساؤل حول الوسائل الناجعة والكفيلة بتحقيق العدالة الاجتماعية في واقعنا الحاضر ليعود الخير والنفع على الإنسانية والبشرية جمعاء؟

تساؤلات البحث:

- ما هي الأسس والضوابط التي تتبني عليها العدالة الاجتماعية؟
- ما هي الآثار المادية لأسس العدالة الاجتماعية على الفرد والمجتمع؟
- ما هي الآثار المعنوية لأسس العدالة الاجتماعية على الفرد والمجتمع؟
- ما مدى تكريس أسس العدل الاجتماعي في المجتمع المسلم وغير المسلم؟
- ما هي التحديات والمعوقات التي تحول دون تنزيل أسس العدالة الاجتماعية؟

أهداف البحث:

تتجلى أهدافه من خلال:

- إبراز الكليات والضوابط والقيم والمبادئ التي تأسست عليها العدالة الاجتماعية.
- توضيح أن دين الله تعالى هو وحدة متكاملة تشمل ما هو عقدي وتشريعي وسلوكي.
- بيان أن مراعاة أسس العدالة الاجتماعية لها آثار خيرة ومنفعة على الفرد والمجتمع.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بوصف القضايا وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات عنها، وتحليلها، وتفسيرها لاستخلاص دلالتها، مع استقراء النصوص الشرعية المناسبة للموضوع والاستئناس بقول وأقوال العلماء الشاهدة على محاور البحث، وتحري الدقة بعزو كل شيء إلى موضعه.

البحث:

المحور التمهيدي: أسس العدالة الاجتماعية من منظور شرعي

الفقرة الأولى: مفهوم العدالة الاجتماعية

يمكن القول إن مفهوم العدالة الاجتماعية مفهوم يتسم بالشمولية لجميع مناحي الحياة بحيث ينشأ عن تطبيق مبادئ العدالة الاجتماعية احترام الحقوق والواجبات وتبادلها بشكل سليم وصحيح، لتعيش بذلك الأفراد والجماعات حياة تسودها القيم المادية والمعنوية في سلك ونظام واحد لا يطغى بعضها على حساب الآخر، فتحقيق العدالة الاجتماعية يعني علاج مختلف مجالات الحياة أي تحقيقها بتصور إسلامي صحيح؛ يقول سيد قطب رحمه الله:

«إن الإسلام وهو يتولى تنظيم حياة الإنسانية جميعاً، لم يعالج نواحيها المختلفة جزافاً، ولم يتناولها أجزاء وتفاريق؛ ذلك أن له تصوراً كلياً متكاملًا عن الألوهية والكون والحياة والإنسان؛ يرد إليه كافة الفروع والتفصيلات؛ ويربط إليه نظرياته جميعاً؛ وتشريعاته وحدوده؛ وعباداته ومعاملاته؛ فيصدر فيها كلها عن هذا التصور الشامل المتكامل، ولا يرتجل الرأي لكل حالة، ولا يعالج كل مشكلة وحدها في عزلة عن سائر المشكلات. وقد تناول الإسلام طبيعة العلاقة بين الخالق والخلق، وطبيعة العلاقة بين الكون والحياة والإنسان، وطبيعة العلاقة بين الإنسان ونفسه، وبين الفرد والجماعة، وبين الفرد والدولة، وبين الجماعات الإنسانية كافة، وبين الجيل والأجيال، ورد ذلك كله إلى تصور كلي جامع ملحوظ الخطوط في سائر الفروع والتفصيلات...»^١.

والعدل ضد الظلم والجور والاعوجاج وهو ما يتنافى مع الحكمة الربانية المعلن عنها في قول الباري عز وجل ضمن الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا"^٢، وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}٣.

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: «العدل: خلاف الجور، وهو في اللغة: القصد في الأمور، وهو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

وأصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الوضوء: "فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا أَوْ نَقَصَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ"^٤.

وهو عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، والظلم في الشرع: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل»^٥.

١ / العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص: ٢٠.

٢ / أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب البِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ.

٣ / الآية ١٤٢ من سورة البقرة.

٤ / أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ الوُضُوءِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا.

٥ / الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤/١٤٢٧هـ)، ج: ٣٠، ص: ٥.

وبناء عليه فإن العدالة الاجتماعية هي تحقيق الحياة الطيبة والعادلة ماديا ومعنويا بعيدا عن الظلم الذي ينتج عن سلب الحقوق والحريات، وذلك باعتبار أن الإسلام ينطوي على منظومة متكاملة وشاملة تجلب للبشرية كل مصلحة وتدرأ عنها كل مفسدة سواء تعلق الأمر بالجانب العقدي أو التشريعي أو السلوكي وسواء هم الحياة الدنيوية أو الآخروية؛ قال ربنا: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ١، وقال عز وجل: {إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَالْحَقُّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} ٢، وقال: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا} ٣.

فإذن الاستقامة على الملة شرط والالتزام بالشرع عقد والاهتداء بالهدي الرباني قيد للنجاة في الدنيا والآخرة وسبيل للعيشة النقية؛ يقول خير البرية صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَالِقِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤَدِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا" ٤.

الفقرة الثانية: أسس العدالة الاجتماعية

يرسي الإسلام قواعد ودعائم للمستويات الاجتماعية والاقتصادية للبشر تضمن للكافة عدالة تجنبهم الظلم والطغيان والقهر والحرمان، وهذه الأسس والدعائم يمكن إجمالها في منظورها المتواضع كالاتي:

أ- مشاطرة المال والإحسان فيه؛ لأن الإنسان ليس حرا في ملكيته بإطلاق فهو خاضع لقيود وشروط منها الإسهام في تحقيق التكافل الاجتماعي والتصرف وفق كل ما يصب في بناء المجتمع؛ والأصل في ذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ٥، وهو توجه العلامة سيدي أبي العباس السبتي وغيره من الأئمة الأعلام، فقد حكي عن السبتي رحمه الله أنه كان يجعل ماله شطرين فيتصدق بشطرن على اليتامى والأرامل وذوي الحاجة ويبقي لنفسه الآخر وعمل ذلك عشرين سنة، ثم ارتقى إلى الإحسان فيه فكان يجعله على ثلاثة يمسك الثلث ويتصدق بالثلثين عشرين عاما أخرى، ثم على سبعة يصرف منها خمسة أسباع أربعة عشر عاما، ثم انتهى إلى إعطاء تسعة أعشار ويترك لأهله عشرا؛ وكان رحمه الله يتأول الآية على ذلك، ويستنبطه أيضا من مشاطرة الأنصار أموالهم مع المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين ٦، فهذا مذهب فريد في التضامن والتكافل قل من يفقهه اليوم أو يعمل به؛ والذي يلفت لهذا المعنى أن الأمر إقامة العدل في الأحكام جاءت مقرونة بمادة (حكم) مثل قول ربنا: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ

١ / الآية ٢١٨ من سورة البقرة.

٢ / الآية ٣٨ من سورة الزمر.

٣ / الآية ٦٥ من سورة النساء.

٤ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الشَّرْكَةِ، بَابُ: هَلْ يُقْرَعُ فِي الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ.

٥ / الآية ٩٠ من سورة النحل.

٦ / التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لمؤلفه أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات (ت ٦١٧هـ)، تحقيق: أحمد التوفيق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، الطبعة الثانية سنة (١٩٩٧م). خصص المصنف الجزء الأخير منه للتعريف بأبي العباس وذكر أخباره ينظر في ذلك بدءا من الصفحة ٤٥١.

إلى أهلها وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ^١، وأما العدل في المال وهو المشاطرة فيه فقد أحكمها الله بقوله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} دونما ذكر المادة المذكورة. والله أعلم.

فاذن المال في الحقيقة مال الله، والإنسان مستخلف فيه إذا ما اكتسبه بإحسان وصرفه بإحسان؛ قال ربنا: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُضُوا مِمَّا جَعَلْتُمْ مُمْسَخِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقَضُوا لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا^٢، وقال عز من قائل: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^٣، وقال وهو المنعم المتفضل: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ^٤.

ب) الوازع السلطاني عند اليأس من نفاذ الوازع الديني، فامتناع الناس مما لا يحل لمخافة العقوبة أكثر من امتناعهم خوفا من الله تعالى، ومن هذا المعنى قول الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إِنَّ اللَّهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُهُ بِالْقُرْآنِ"^٥، وفيه إشارة إلى التغيير الجليل والإصلاح العظيم الذي يحدث عند تدخل السلطان^٦ وفرعه لتنفيذ شرع الله على الأرض وتنزيل أحكامه بالقوة في الوقت والمكان المناسبين ليستحق بذلك السمع والطاعة، فالمفسد إذا لم ينتهز لإجابة الحق بمجرد الإعذار والإنذار الذي يوعظ به،

فإنه ينتهز بأولي الأمر ليكون ذلك أحرى بالإجابة، يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «وَلَاَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ^٧؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى إِعْمَالِ السِّيفِ عِنْدَ الْإِبَاءِ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ، فَإِنَّ لَمْ تَنْفَعِ الْكُتُبُ تَعَيَّنَتِ الْكُتَائِبُ^٨. ومنه قضاء ربنا في الأقوام الغابرة المكذبة الكافرة: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْأَجْرَةِ أُخْرَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^٩، كما أغرق الذين ظلموا من قوم نوح، وأخذ قوم فرعون الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ونبذهم في اليم، وصيح بقوم لوط عذابا مستقرا وأرسل عليهم حاصبا إلا من شكر، ومن مدين أخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى

١ / الآية ٥٧ من سورة النساء.

٢ / الآية ٧ من سورة الحديد.

٣ / الآية ١٠ من سورة الحديد.

٤ / الآيات ١٥ - ١٦ - ١٧ من سورة الذاريات.

٥ / ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، دار الفكر - بيروت، طبعة (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج ٢، ص: ٩. وهو مروى أيضا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٦ / السلطان هو القوة التي يكتسبها ولي الأمر بحكم الشرع وبما يرتضيه الشرع فسمي سلطانا بذلك؛ قال ربنا: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}، وقال: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ}. (الآية ٦٥ من سورة الإسراء، والآيات ٩٩ و ١٠٠ من سورة النحل).

٧ / الآية ٢٤ من سورة الحديد.

٨ / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، طبعة: (١٤١٥)

هـ/١٩٩٥م)، ج: ١، ص: ٢٢.

٩ / الآيات ١٥ و ١٦ من سورة فصلت.

نَفْسُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ^١، {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}^٢، {وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا^٣، وكل ذلك من أجل إظهار الحق ودرء المفساد وتحقيق المصالح وسيادة العدالة بصورها التي يريدها ربنا بعباده الصالحين مصداقا لسنته تعالى التي لا تتبدل؛ قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}^٤، وقوله: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا^٥، وقوله جل وعز: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ^٦.

فرب الكون لا يقبل إلا الصلاح وإذا لم ينأت ذلك بالوعظ تأتي بالعقاب وتحقق بالسوط وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، ولذلك فقد نجى الله من المذكورين عباده الأخيار فقال: {وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ^٧،

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ^٨، {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا^٩، {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ^{١٠}، {وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ^{١١}، {وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ^{١٢}، وهذه هي مهمة السلطان من خلال سهره وقيامه على شرع الله وتطبيق حدوده وعقوباته ورد المظالم لأهلها والضرب على أيدي الجناة والطغاة فتنصيبه وتصرفه منوط بمصلحة الرعية، وهو وإن كان لا قدرة له هنا بأن يعذب بعذاب الله أو أن يأخذ بأخذ الله إلا أنه يحكم بحكم الله الذي شرعه له وحدوده التي رسمها له بله أنه تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولا خير في سلطان ليس عدلا ولا يعرف مصلحة الرعية أي هي.

(ت) التماسي مع السنن الكونية التي ضبط الله بها الكون ضمانا لاستمرار الحياة وديمومتها من سابق للاحق ومن متقدم لمستأخر إلى حين الوقت المعلوم؛ لأن التكافل بين الجميع يتفق مع غاية الكون الواحد وغاية خالقه الواحد سبحانه، فكل تغيير سلبي يحدث بكسب الإنسان على مقومات الحياة الأرضية والسماوية فهو فتيلة تحرق الشجر والمدر، وهلاك لا يبقى للإنسان ذكرا، ودمار لا يبقى للكون توازنا، كما أنه استجابة لإبليس اللعين في قسمه:

- ١ / الأيتان ١٠٠ و ١٠١ من سورة هود.
- ٢ / الآية ١٠٢ من سورة هود.
- ٣ / الآية ٥٨ من سورة الكهف.
- ٤ / الآية ٥٦ من سورة المائدة.
- ٥ / الآية ١٣٢ من سورة النساء.
- ٦ / الآية ١٧ من سورة فاطر.
- ٧ / الآية ٤٠ من سورة هود.
- ٨ / الآية ٥٧ من سورة هود.
- ٩ / الآية ٩٤ من سورة هود.
- ١٠ / الآية ٦٥ من سورة هود.
- ١١ / الأيتان ١٣٣ و ١٣٤ من سورة الصافات.
- ١٢ / الآية ١٧ من سورة فصلت.

{وَأَصْلَتْهُمُ وَالْمَنِيِّتُهُمْ وَالْمَرْتَهُمُ فَلْيُبَيِّنَنَّ آدَانَ الْأَنْعَامِ وَالْمَرْتَهُمُ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ}،^١ وبذلك تتخلف الغاية المنشودة.

ذلك أن الوجود وحدة متكاملة بتناسقها وانسجامها ونظامها البديع، قال ربنا: {وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}،^٢ {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}،^٣ {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ}،^٤ {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}،^٥ {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ}،^٦

{اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيُنَبِّئُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}،^٧ {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}،^٨ {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ}،^٩ {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}...^{١٠}

فلكل موجود حكمة تتناسق مع غاية الوجود، والوجود وحدة متكاملة الأجزاء متناسقة الخلقة والنظام والاتجاه بحكم صدوره المباشر عن الإرادة الواحدة المطلقة الكاملة كان مهياً وصالحاً ومساعداً لوجود الحياة بصفة عامة ولوجود الإنسان - أرقى نماذج الحياة - بصفة خاصة^{١١}، لذلك ينبغي أن يكون تصور الإنسان حول الكون ومحيطه البيئي البيولوجي تصوراً عاماً شاملاً بحيث يساند للفرد وللجماعة وللأمة وللأجيال المتعاقبة وكلٌّ يجب أن يعمل لتحقيق الغاية المنشودة، وذلك جوهر العدل وخلافه ظلم وطغيان. والحمد لله رب العالمين.

ث- تقرير أخوة الوجود وأخوة الدين لكن تبقى أصرة الدين أوثق من أصرة القرابة، فالناس من آدم وادم من تراب هم خلق الله المكرم خُلقوا من نفس واحدة، ومن هنا تصدر معاني الإنسانية لكن لما علم الباري اختلاف الأفراد في تنزيلها ضبطها من أوجه من ذلك ما جاء في قوله عز وجل: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}،^{١٢} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِقُومٍ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي

١ / الآية ١١٨ من سورة النساء.

٢ / الآية ٣٩ من سورة الأنعام.

٣ / الآية ٩٠ من سورة النمل.

٤ / الآيات ٧٠ و٧١ و٧٢ من سورة يس.

٥ / الآية ٨٤ من سورة الأعراف.

٦ / الآية ٥٦ من سورة الأعراف.

٧ / الآيات ١١ و١٢ من سورة الجاثية.

٨ / الآية ١٩ من سورة لقمان.

٩ / الآية ٢٣ من سورة الأعراف.

١٠ / الآية ١٥ من سورة الملك.

١١ / العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص: ٢٢.

١٢ / الآية ٧٢ من سورة التوبة.

تُسِرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ {١}، {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسُوءَ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ {٢}، {لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخَرِّجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {٣}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا {٤}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {٥}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ {٦}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {٧}، {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {٨}، {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ {٩}، {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ {١٠}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ {١١}، {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ {١٢}، {وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَشْرِكَةٌ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبِدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {١٣}، وغير ذلك من الفروع والجزئيات حكما وعقيدة.

١ / الآية ١ من سورة الممتحنة.

٢ / الآيتان ٤ و ٥ من سورة الممتحنة.

٣ / الآية ٨ من سورة الممتحنة.

٤ / الآية ١٤٣ من سورة النساء.

٥ / الآية ٥٣ من سورة المائدة.

٦ / الآية ٥٩ من سورة المائدة.

٧ / الآية ٢٣ من سورة التوبة.

٨ / الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة آل عمران.

٩ / الآية ٢١ من سورة المجادلة.

١٠ / الآيتان ٤٥ و ٤٦ من سورة هود.

١١ / الآية ١٣ من سورة الممتحنة.

١٢ / الآيتان ١١٤ و ١١٥ من سورة التوبة.

١٣ / الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

وغيرنا بهذا القول أن للإنسان حقا لاندراجة في معاني الأخوة الوجودية وهي مضبوطة بتلكم الأوجه المتقدمة للتمكن من تحقق جانب كبير من مبادئ العدالة الاجتماعية وطرف عريض من المساواة بين المجتمع الإنساني، ويشهد لذلك أيضا تقاسمه صلى الله عليه وسلم مع اليهود الطعام والشراب، وقوله لأسماء رضي الله عنها: "صِلِي أُمَّكَ"^١، وتعايشه صلى الله عليه وسلم مع ذوي العهد والذمة دفعا ومنعا وهلم جرا من مظاهر السماحة والعدل.

وأما تقرير أخوة الدين، فلا جرم أنها ركن ركين وأساس متين لا يتصور إقامة الدين إلا بها ولا تشيد جدران العدالة بين المجتمع المسلم إلا بلبنائها^٢؛ وقد حث عليها ربنا حتى في أحلك الظروف؛ لذلك قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ^٣، لكن ادعاءها يقتضي مقومات ويستلزم شروطا وتبعيات من ذلك قول ربنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ

١ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ صَلَوةِ المَرْأَةِ أَمَّهَا وَلَهَا زَوْجٌ.

٢ / على أن المجتمع ليس ضرورة لإقامة الدين، فقد يقيمه ربنا بأضعف مخلوقاته، كما أن تصور المجتمع أو الجماعة قد لا يتأتى في حالات وبخاصة في آخر الزمان أو في غريبه، ويشهد لذلك قول خير البرية ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ عَنَّمْ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَوْرُ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ". (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ: مِنَ الدِّينِ الفِرَارُ مِنَ الفِتَنِ).

ولذلك فالجماعة لا تتمثل في أشخاص بعينهم بل في الثبات على هذا الدين والسير على الجادة وما وافق الحق؛ ففي إعلام الموقعين لابن القيم رحمه الله ما نصه: «وَاعْلَمْ أَنَّ الإِجْمَاعَ وَالْحُجَّةَ وَالسَّوَادَ الأَعْظَمَ هُوَ العَالِمُ صَاحِبُ الحَقِّ، وَإِنْ كَانَ وَحْدَهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ أَهْلُ الأَرْضِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: يَا عَمْرُو بْنَ مَيْمُونٍ قَدْ كُنْتَ أَطْنُكَ مِنْ أَفْقِهِ أَهْلُ هَذِهِ القَرْيَةِ، أَتَدْرِي مَا الجَمَاعَةُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: إِنَّ جُمهُورَ الجَمَاعَةِ هُمُ الَّذِينَ فَارَقُوا الجَمَاعَةَ، الجَمَاعَةُ مَا وافقَ الحَقَّ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ. وَفِي لَفْظِ آخَرَ: فَضْرَبَ عَلَى فِخْذِي وَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنَّ جُمهُورَ النَّاسِ فَارَقُوا الجَمَاعَةَ، وَإِنَّ الجَمَاعَةَ مَا وافقَ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ نَعِيمُ بْنُ حَمَادٍ: إِذَا فَسَدَتِ الجَمَاعَةُ فَعَلَيْكَ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ الجَمَاعَةُ قَبْلَ أَنْ تُفْسَدَ، وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الجَمَاعَةُ جِبْنِيذٌ. ذَكَرَهَا البَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَدْ شَدَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ زَمَنَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ إِلا نَفَرًا يَسِيرًا؛ فَكَانُوا هُمُ الجَمَاعَةُ، وَكَانَتِ القُضَاةُ جِبْنِيذِ والمُفْتُونَ وَالْحَلِيفَةُ وَأَتْبَاعُهُ كُلُّهُمْ هُمُ السَّادُونَ، وَكَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَحْدَهُ هُوَ الجَمَاعَةُ، وَلَمَّا لَمْ يَتَحَمَّلْ هَذَا عَقُولُ النَّاسِ قَالُوا لِلْحَلِيفَةِ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنْتَ وَفَضَاتُكَ وَوَلَاتُكَ وَالْفُقَهَاءُ وَالْمُفْتُونَ كُلُّهُمْ عَلَى البَاطِلِ وَأَحْمَدُ وَحْدَهُ هُوَ عَلَى الحَقِّ؟ فَلَمْ يَسْعَ عِلْمُهُ لِذَلِكَ، فَأَخَذَهُ بِالسِّيَاطِ وَالْعُقُوبَةِ بَعْدَ الحَبْسِ الطَّوِيلِ، فَلَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَةِ، وَهِيَ السَّبِيلُ المَهْبُوعُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ حَتَّى يَلْقُوا رَبَّهُمْ، مَضَى عَلَيْهَا سَلْفُهُمْ، وَيَنْتَظِرُهَا خَلْفُهُمْ: {مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ». (إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج: ٣، ص: ٣٠٨ و ٣٠٩).

٣ / الآيتان ٩ و ١٠ من سورة الحجرات.

يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ^١، {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مِنْ هَاجِرٍ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ^٢، وقول خير البرية ﷺ: "المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ"^٣، "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رُدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ"^٤، "وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ"^٥، "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"^٦، "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"^٧، "مَنْ عَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا"^٨، "مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُصْبِحْ وَيُصْبِحِ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَإِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ"^٩، إلى آخر ما لا يخفى من كثرته، فالمتأخي يحدث بنعمة ربه جل وعلا المعطن عنها في قوله: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^{١٠}، وأما مدعيها مع انطواء وعزلة وترك وامتناع أو ظلم وبغض فهو يهتف بما لا يعرف ويدعي ما لا يفقه ولم يظن من الدين لا ليه ولا قشوره. والحمد لله رب العالمين.

ج- المساواة المحكومة بالحكم والمقاصد الشرعية وتكافؤ الفرص والعدل بين الجميع اعتبارا بوحدة الوجود الإنساني البشري، لا باعتبار الخلقة وما يتعلق بها من لون وجنس وعرق أو لغة وغير ذلك مما لا ينضب؛ والأصل في ذلك قول ربنا تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^{١١}، وقول الرسول الكريم ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ. أَتَلَعْتُمْ، قَالُوا: بَلَّغْ رَسُولُ اللَّهِ"^{١٢}،

١ / الآيتان ١١ و ١٢ من سورة الحجرات.

٢ / الآيتان ٩ و ١٠ من سورة الحشر.

٣ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الْمَظَالِمِ وَالْعَصَبِ، بَاب: لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ.

٤ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ.

٥ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ إِثْمٍ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ.

٦ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ: مَنْ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.

٧ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

٨ / أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

٩ / أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط: بَابُ الْمِيمِ، مِنْ اسْمِهِ: مُحَمَّدٌ.

١٠ / الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

١١ / الآية ١٣ من سورة الحجرات.

١٢ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: أَحَادِيثُ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي قوله تعالى: {أَكْرَمَكُمْ} لفت الانتباه لما تأصل وتجدد في الخليقة المكرمة المفضلة؛ ومنه قول ربنا الأكرم: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}¹.

وقد تضافرت نصوص الوحي على التسوية بين الجنسين في غير ما آية من ذلك قول ربنا: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}²، {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ}³، {وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّرَّاجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى}⁴، {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}⁵، {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا}⁶ إلى غير ذلك مما يبرز جليا العدل الرباني بين عباده في الدار الدنيا والآخرة. وقد ظهر لكل متأمل ما عابه ربنا على قوم صدر منهم الحيف والظلم في حق الإناث اتباعا للأهواء والظنون التي هي من ضلال إبليس اللعين؛ قال ربنا: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}⁷، {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}⁸، {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}⁹.

وأما التسوية من حيث الأحكام الشرعية، فالمساواة في ذلك ليست حرفية كما يفهمها البعض من جهلة زماننا، وإنما هي راجعة إلى النصوص الشرعية القطعية ثم الاجتهادات الفقهية المعتمدة، ومن هذا الباب قول ربنا الباري: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}¹⁰، وقوله ﷺ: "وَإِنَّ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا"¹¹، وقد جعل الرسول ﷺ المساواة مطية للدعوة كما في باب الحرمات ومنه قوله ﷺ لمن استأذنه في الزنا: "أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبنَاتِهِمْ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَالَاتِهِمْ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَالَاتِهِمْ"¹²،

١ / الآية ٧٠ من سورة الإسراء.

٢ / الآية ٩٧ من سورة النحل.

٣ / الآية ٤٠ من سورة غافر.

٤ / الآيتان ٤٤ و ٤٥ من سورة النجم.

٥ / الآية ١٢٣ من سورة النساء.

٦ / الآية ١٠٩ من سورة طه.

٧ / الآيتان ٥٨ و ٥٩ من سورة النحل.

٨ / الآية ١٦ من سورة الزخرف.

٩ / الآيتان ٨ و ٩ من سورة التكويد.

١٠ / الآية ٢٢٦ من سورة البقرة.

١١ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: أَوَّلُ مُسْنَدِ الْبَصْرِيِّينَ، حَدِيثُ عَمِّ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ.

كما تجاوز الشرع الحكيم قمم المساواة فجعلها في المعنويات ومنه قوله ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"^١. والحمد لله رب العالمين.

ج- السعي في الإصلاح وتحقيق المصالح كلما ظهرت المضار وانتشرت المفساد، وهذا منهج الأنبياء والمرسلين وهو الحكمة من بعثتهم وإرسالهم، قال ربنا عن المقالة الخالدة لشعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام: {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}^٢، وقال نبينا ﷺ وهو يهدف إلى إصلاح المنظومة الاقتصادية السائدة يومئذ: "اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، إِنَّهُ لَا يَجِلُّ مَالٌ أَمْرِي إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ، وَإِنَّ كُلَّ رَبًّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَإِنَّ اللَّهَ فَضَىٰ أَنْ أَوْلَ رَبًّا يُوَضِّعُ، رَبًّا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ، وَلَا تُظْلَمُونَ" إلى أن بسط يديه فقال: "أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ ثُمَّ قَالَ: لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَانِبَ، فَإِنَّهُ رَبٌّ مُبَلِّغٌ أَسْعَدُ مَنْ سَامِعَ"^٣، وقد فشا هذا الطاعون اليوم أكثر من سابقه حتى غدا الناس يذوقون عاقبته ويتجرعون ألم السحت الذي كسبته أيديهم فصدق عليهم إبليسُ ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين؛ قال ربنا: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْوَمُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبِنْعُ مِثْلُ الرِّبَا}؛ إلى قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ"^٤.

وقد أشرنا إلى هذا الجانب؛ لأنه أصبح في وقتنا الراهن في أمس الحاجة إلى الإصلاح ومحاربة المفساد التي أَلمت به، فلا يمكن أن تتأتى العدالة الاجتماعية من خلاله إلا بترك المحرمات من ربا واستغلال ونصب واحتيال وسلوك المعروف والقرض الحسن وعدم التشوف لما في أيدي الآخر، فالإصلاح بلا ريب دعامة من الدعائم. والحمد لله رب العالمين.

خ- الحرية المقيدة والمنضبطة بضوابط الشرع الحكيم والموضوعة بوضعه؛ لأن العباد خلق الله وهو من يضع لهم أوجه الحرية في دينهم ودنياهم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، فهذا الأصل أيضاً مما تنبني عليه العدالة الاجتماعية، وهو أصل عظيم قل من يفهمه؛ إذ الغرض من تنزيل الشريعة المطهرة أن يكون الناس عباداً لله اختياراً كما هم عباد الله اضطراراً، وهنا نقر بسبقية الإسلام لإخراج الناس من الرقبة إلى الحرية كما أخرجهم سلفاً من ذل العبودية إلى عز الطاعة؛ فبدأ بتحرير الفطرة الممسوخة من عبادة غير الله الواحد القهار؛

قال ربنا: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا}^٥، {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

١ / سبق تخريجه.

٢ / الآية ٨٨ من سورة هود.

٣ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: أولُ مُسْنَدِ الْبَصْرِيِّينَ، حَدِيثُ عَمِّ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ.

٤ / الآية ٢٧٤ من سورة البقرة.

٥ / الآيتان ٢٧٧ و ٢٧٨ من سورة البقرة.

٦ / الآية ٢٨ من سورة الفتح.

مُسْتَقِيمٍ}،^١ ثم شرع أحكام الكفارات وأدرج فيها عتق الرقاب كما أنه حث على ذلك بأنواع المرغبات فجعلها من القربات حيث قال خير البرية ﷺ: "مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّىٰ فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ"^٢، والله در الفاروق رضي الله عنه في مقولته القوية الجريئة لواليه على مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه: "مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارٌ"^٣ فالعبودية مكروهة في البشر كما قال الساسة عمر، وكأني به يومئ إلى ما استفحل في زمننا اليوم من قهر الرجال واستحياء النساء واستضعاف الولدان. والله المستعان.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى الحريات الأساسية التي كفلها الإسلام للبشر عقيدة وشريعة من ذلك قول ربنا: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ}،^٤ {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ}،^٥ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ}،^٦ {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ نَتَّفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}،^٧ {فَذَكَرْنَا إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَىٰ سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}،^٨ {فَذَكَرْنَا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ}،^٩ فهذا كله مما سبيله العدل وإقرار لعين الحق.

وقوله عز وجل: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ زَكَاةٌ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}،^{١٠} وقول خير البرية ﷺ: "الْأَيْمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صَمَاتُهَا"^{١١}، وعن عائشة رضي الله عنها أن فتاة دخلت عليها فقالت: "إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أُخِيهِ لِيُرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ وَأَنَا كَارِهَةٌ، قَالَتْ: اجْلِسِي حَتَّىٰ يَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَبِيهَا فَدَعَاهُ فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ اللَّسَاءُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءًا"^{١٢}، وعند أحمد أن رجلا يقال له خِدَامٌ زوج ابنته وهي كارهة، فأنت النبي صلى الله عليه وسلم،

١ / الآيات ١٦ و ١٧ و ١٨ من سورة المائدة.

٢ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ كَفَّارَاتِ الْأَيْمَانِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} [المائدة: ٨٩] وَأَيُّ الرِّقَابِ أَرْكَى.

٣ / القصة بتمامها في مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن الجوزي رحمه الله، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مملكة البحرين، الطبعة الأولى سنة (٢٠١٣/هـ ١٤٣٥م). ص: ٩٨ و ٩٩.

٤ / الآية ٢٩ من سورة الكهف.

٥ / الآيتان ٩٩ و ١٠٠ من سورة يونس.

٦ / سورة الكافرون.

٧ / الآيتان ٥٤ و ٥٥ من سورة الذاريات.

٨ / الآيات ٩ و ١٠ و ١١ من سورة الأعلى.

٩ / الآيتان ٢١ و ٢٢ من سورة العاشية.

١٠ / الآية ٢٣٠ من سورة البقرة.

١١ / أخرجه الإمام مالك في موطنه: كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ اسْتِئْذَانِ الْبِكْرِ وَالْأَيْمِ فِي أَنْفُسِهِمَا.

١٢ / أخرجه الإمام النسائي في سننه: كِتَابُ النِّكَاحِ، الْبِكْرُ يُزَوَّجُهَا أَبُوهَا وَهِيَ كَارِهَةٌ.

فَقَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي وَأَنَا كَارِهَةٌ. قَالَ: "فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِكَاحَ أَبِيهَا"^١، وفي مجالات الرأي قول ربنا: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} ^٢، {وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} ^٣، لأن ذلك مبدأ من مبادئ الحياة والحضارة الراقية. والحمد لله رب العالمين.

المحور الثاني: التحديات المعاصرة التي تواجه أسس العدالة الاجتماعية تنزيلاً

إن الناظر في واقعنا الحالي يستقري مجموعة من التحديات التي تعيق معالم العدالة الاجتماعية وأسسها نعمل في هذا المحور على لفت الانتباه إلى بعضها من خلال ما يلي:

الفقرة الأولى: التحديات المادية

أ- الإعراض عن الذكر والدستور الإلهي المصلح للفرد وللمجتمع والصالح لكل زمان ومكان، فالإعراض عنه قطعاً جالب للنتقم والمحن موقع في الشرك والظلم والفتن تصيب الخاصة كما تصيب العامة والصالح كما الطالح؛ قال ربنا: {وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} ^٤، وما أصاب الأقسام الأول ما أصابهم إلا بالعصيان والتمرد والعناد والتكبر؛ قال ربنا: {قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} ^٥، {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} ^٦، {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ} ^٧، {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَعَلَى غَابِطَاتٍ مُوَسَّسَاتٍ وَكَانُوا زَانِقِينَ هَلْ كَانَ لِقَاءِ الْيَوْمِ لَكُمُ الْمُنَادِرُونَ} ^٨، {قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ لَهَا وَاحِدًا وَإِنَّا لَنَرَاهُ جَنَّابًا} ^٩. الآيات.

وقد كثر في زمننا هذا الإعراض حتى أصبح مشركوه أعظم شركاً من الأولين؛ لأن الأولين كانوا يخلصون لله في الشدة ويشركون في الرخاء، أما مشركو زماننا فشركتهم دائم في الرخاء والشدة عياداً بالله من ذلك؛ والدليل قوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} ^{١٠}. فأى إعراض أعجب من هذا؟ فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ب- تضييع حدود الله والاعتناء بالمظهر أكثر من الجوهر وعدم السير على الجادة، لذلك فإن أناسي زماننا أعظم بخلا وقترا من الأولين؛

١ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مسند النساء، حديث حَنَسَاءِ بِنْتِ خَدَامٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢ / الآية ٣٥ من سورة الشورى.

٣ / الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

٤ / الآية ٣١ من سورة الأحقاف.

٥ / الآية ٥٣ من سورة هود.

٦ / الآية ٩١ من سورة هود.

٧ / الآيات ٢ - ٣ - ٤ - ٥ من سورة ق.

٨ / الآيات ١ - ٢ - ٣ - ٤ من سورة ص.

٩ / الآيتان ٦٥ و ٦٦ من سورة العنكبوت.

لأن الأولين كانوا وقافين عند حدود الله فلم يضيعوها وأولوا العناية للسرائر قبل المظاهر وأنفقوا في قليل وفي كثير في السراء وفي الضراء فلم يكونوا يخافون فقر الجيوب بل فقر القلوب فهم أعظم جودا وكرما، أما أناس زماننا فإمساكلهم دائم في الرخاء وفي الشدة.

والدليل ما ورد عند الإمام مالك قدس الله روحه في موطنه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لإنسان: "إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فَقَهَاؤُهُ، قَلِيلٌ قُرْأُوهُ، تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ، وَتُضَيِّعُ حُرُوفَهُ، قَلِيلٌ مَنْ يَسْأَلُ، كَثِيرٌ مَنْ يُعْطِي، يُطِيلُونَ فِيهِ الصَّلَاةَ، وَيَقْصُرُونَ الْخُطْبَةَ، يَبْدُونَ أَعْمَالَهُمْ قَبْلَ أَهْوَائِهِمْ، وَسَيَّئِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فَقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ قُرْأُوهُ، يُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتُضَيِّعُ حُدُودَهُ، كَثِيرٌ مَنْ يَسْأَلُ، قَلِيلٌ مَنْ يُعْطِي، يُطِيلُونَ فِيهِ الْخُطْبَةَ، وَيَقْصُرُونَ الصَّلَاةَ، يَبْدُونَ فِيهِ أَهْوَاءَهُمْ قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ".^١

وقال ربنا في أوصاف هي أحق بالزمن الأول: {قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}،^٢ وقال أيضا: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}.^٣

(ت) البخل والشح أنلف الله من أمسك، وهما الطبع الخبيث وأفة القصد ورأس كل البلايا والمصائب انطلاقا من قول خير البرية صلى الله عليه وسلم: "إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ"،^٤

وفي لفظ: "وَأِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمْرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَفَطَعُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَجَلُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا"^٥، وفي ذمه يقول ربنا: {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ}،^٦ {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا}،^٧ وقال جل وعلا: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ}،^٨ وما أكثر ما كان يتعوذ صلى الله عليه وسلم من البخل والشح فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: التَّمَسْ غُلَامًا مِنْ غُلَامَيْكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى خَيْبَرَ، فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلَامٌ رَاهِقْتُ الْحُلْمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ،

١ / أخرجه الإمام مالك في موطنه: كِتَابُ قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ، بَابُ جَامِعِ الصَّلَاةِ.

٢ / الآيات ١٥ و ١٦ و ١٧ من سورة آل عمران.

٣ / الآيات ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ من سورة الذاريات.

٤ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مُسْنَدُ الْمُكْتَرِبِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مُسْنَدُ الْمُكْتَرِبِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٦ / الآية ١٢٧ من سورة النساء.

٧ / الآيتان ٣٧ و ٣٨ من سورة النساء.

٨ / الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة الحديد.

فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ^١.

فالناس اليوم يذهبون سفالا سفالا قلت الأمانة، واشتد الشح، فإنا لله وإنا إليه راجعون؛ قال ﷺ: "يَتَقَارَبُ الرَّمَانُ، وَيَنْفُصُ الْعَمَلُ، وَيَلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْتُرُ الْهَرَجُ. قَالُوا: وَمَا الْهَرَجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ"^٢، فعيب إذن أن يجمع المسلم بين الإيمان والشح فهو كمن يجمع بين خبيث وطيب فلما يجتمعان؛ يقول خير البرية ﷺ: "لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي جَوْفِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ"^٣.

وقد لاحظنا أن المال في الحقيقة إنما هو مال الله، والعبد ما هو إلا مستخلف فيه ينتفع به ويتركه خلفه لا محالة ثم الله يرث الأرض ومن عليها؛ لذلك قال ربنا في ترغيب لطيف: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}؛ وكذا في قوله: {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}٥.

وبعد هذا كيف يعقل أن يبخل الإنسان بما هو من فضل الله عليه، فعجبا له كل العجب إذ يمنح فضل الله ويبخل بما ليس في ملكه ولا هو خالق له ولا صانع وهو وماله إلى الله صائر؛

وقد غفل الناس عن هذه الحقيقة التي صورها ربنا صورة وعيد فقال: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}٦. فلاجرم إذ اقتدينا بالملائكة الكرام فقلنا: "اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً".

ث)- عدم توزيع الثروات توزيعاً عادلاً يراعى فيه كل ذي حق، ويراعى فيه المنهج السليم والقيم والمبادئ السليمة التي حث عليها ربنا من ذلك قوله عز وجل في أحكام قسم الفيء: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}٧، فيؤخذ من هذا أن تقسيم المال العام يستند على اللبنيات الأساسية الآتية:

- التكافل والإحسان، انطلاقاً من قوله سبحانه: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}.
- العدل الاقتصادي، انطلاقاً من قول ربنا: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}.
- الامتثال والرضى، انطلاقاً من قوله عز وجل: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

١ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ مَنْ غَزَا بِصَبِيٍّ لِلْخِدْمَةِ.
 ٢ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبُخْلِ.
 ٣ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مُسْنَدُ الْمُكْتَبِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 ٤ / الآية ٧ من سورة الحديد.
 ٥ / الآياتان ٣٩ و ٤٠ من سورة النساء.
 ٦ / الآية ١٨٠ من سورة آل عمران.
 ٧ / الآية ٧ من سورة الحشر.

ج- فقدان احترام الحقوق الفردية والمجتمعية، ونذكر في هذا الصدد حقوق المسلم على المسلم وكذا الحقوق المتبادلة بين المسلم وغير المسلم؛ من ذلك ما رسم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَاذَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ"^١، وقوله: "وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ"^٢، وجاء في كتاب ربنا: (لَا يَنْهَأُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)^٣، والبر والقسط مما يؤمر بتحقيقه في كل ملة من الملل؛ قال ربنا: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}،^٤ وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ}.^٥

ح- العكوف على التقليد الأعمى الذي يهدم مبادئ التربية ويوقع الفرد والمجتمع في وحل يصعب الخروج منه، ومن ذلك ما حصل لقادة المربين في واقعا الحالي من استيراد المناهج التربوية واعتمادها كأنها الصرح العظيم الذي لا يغرقة الطوفان،

ونقل إن أكبر مصيبة نتجت عن ذلك هو سلب الروح غذاءها اللازم فأصبح مسلم اليوم يهرع وراء الماديات كأنه مخلد فيها ففسي بذلك القيم ونشئ على حب الذات وتركيزية المظهر بالملذات وترك العمل وإصابة الهدف وتحقيق الإيجابيات فإننا لله وإنا إليه راجعون.

خ- الانسلاخ والإهمال البشري للمجالات البيئية والتجاسر على إحداث التغييرات اللاعقلانية على السنن الكونية مما يسبب في انتشار الأوبئة الفتاكة وفشو الأمراض غير المسبوقة لينتج عن ذلك في الأخير حياة بعض على حساب موت آخرين وغنى على حساب فاقة الضعفاء ومعاناتهم فهو من ظلم وطغيان الفرد على الجماعة والجماعة على الفرد؛ قال ربنا: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}،^٦ ويتضمن ذلك فساد العناصر البيئية من هواء وتربة وماء وكما وكيفا، كل هذا وغيره من المفاسد والمضار التي تبرز لنا مدى الظلم الاجتماعي الذي تعيشه الشعوب في مختلف بلدان العالم.

د- الجشع والاحتكار والإفراط في الملذات...، وهذا كله من المفاسد التي تضر بأخلاق الفرد والمجتمع وتعيق لاشك التكافل الصحيح بين البشر وتقلب موازين الحياة، فانعدام الوازع الديني والسلطاني يتيح تواجد هذه المضار ومن ذلك نظام الحسبة الذي فرضه ربنا في قوله: {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}،^٧ فهو من أنجع الوسائل لقطع دابر الذين لا يؤتون الناس نقيرا وبهم طمع ونهم واستئصال الطبع الخبيث للمتنافسين الذين لا يحبون للناس ما يحبون لأنفسهم؛ قال ربنا: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ}.^٨

١ / سبق تخريجه.

٢ / سبق تخريجه.

٣ / سبق تخريجه.

٤ / سبق تخريجه.

٥ / الآية ٣ من سورة المائدة.

٦ / الآية ٩ من سورة المائدة.

٧ / الآية ٤٠ من سورة الروم.

٨ / الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

٩ / الآيات ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ من سورة العاديات.

ذ- التحرر والتهرب من أداء حقوق الفقراء والمحتاجين مما شأنه أن يوسع الهوة بين الغني والفقير فيفضي إلى الظلم الاجتماعي وانتشار الجريمة على نطاق واسع ناهيك عن الطبقة والفوارق الاجتماعية والاقتصادية مما لا يتلاءم والحكمة الإلهية الربانية المعلن عنها في قول الله الرحيم المتكفل بالضعفاء من عباده: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ^١، وقوله: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ} ^٢.

ففريضة الزكاة والصدقات التطوعية الجارية وغير الجارية منهج رباني لتحقيق التكافل الواجب والمستحب وتعميم الخير بين أفراد المجتمع؛ قال ربنا: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ^٣، ولا يبالغ المرء إذا قال إن فريضة الزكاة وحدها كفيلة بتحقيق نسبة هامة ومؤشر كبير قد يعادل ثمانين في المائة من التكافل الاقتصادي الاجتماعي، فهي وسيلة ناجعة للحد من الفقر المفضي إلى المفساد المتنوعة والضعينة التي يكنها الفقير تجاه الغني بله أن الفقر جاء مقرونا بالكفر الذي لطالما كان خير البرية يتعوذ منه دبر الصلاة بقوله: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ" ^٤، وكان يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بَيْسُ الضَّجِيعِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بَيْسُ الْبِطَانَةِ" ^٥.

فقد ظهر للعيان وللعادي والبادي أن الناس خانوا عهد ربهم ونسوا حق إخوانهم فذلهم الله وسلط عليهم عدوا من غيرهم وابتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم من بني جلدتهم بأنواع البلايا، وأي ظلم اجتماعي أكبر من أن يسير الغني أميالا ليهضم الطعام ويجول الفقير ويسير أميالا بحثا عما يسد به جوعته وبستر به عورته؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ر- الانسياق مع منظومة اقتصادية وأخلاقية (العولمة) متجهة نحو دحض ما أنتجته الحضارات السابقة مما يفضي إلى رأسمالية تقصي الضعيف وترفع من شأن الإنسان المادي الحدائي سواء كان ذلك على حساب الدين أو على حساب تقاليد الشعوب وعاداتها، وهو عين الظلم الاجتماعي الذي تعيشه فئة عريضة من الإنسانية عبر العالم من حيث الاضطهاد والتصنيف في خانة التهميش والعزلة وما خفي أعظم.

ز- وجود ثغرات كبيرة إن لم نقل هشاشة في منظومة العدالة في وقتنا الراهن، يظهر ذلك من حيث عدم التيسير على المتقاضين في لجوئه للدعاوى وسلوكه للمساطر القضائية وكذا الحيف الذي يقع لبعضهم بسبب اعتماد قوانين غير مستمدة من النظم والتشريعات الإسلامية الشيء الذي لا يكفل نسبة الحقوق لأصحابها رغم رجحان البيئات وتضافر الأدلة والحجج الشرعية، يضاف إلى ذلك عدم توفر الأجهزة القضائية والجهات المسؤولة على آليات الاجتهاد والتنزيل المحكم مما يفسر لنا شرخا في ممارسة القضاء والمهن القضائية التابعة له؛

١ / الآية ٦٠ من سورة التوبة.

٢ / سبق تخريجه.

٣ / الآية ١٦ من سورة التغابن.

٤ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مُسْنَدُ الْبُصْرِيِّينَ، حَدِيثُ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ.

٥ / أخرجه الإمام أبو داود في سننه: بَابُ تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْوُثْرِ، بَابُ فِي الْإِسْتِعَادَةِ.

قال ربنا تبارك وتعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}¹.

الفقرة الثانية: التحديات المعنوية

أ- قلة الوجل وتعظيم ما عظمه الله وتحقير ما حقره الله عز وجل، ومن ذلك الدنيا والآخرة، فالعاقل يجعل الدنيا مهينة ويتذكر زوالها وفناءها كما يجعل الآخرة همه وشغله الشاغل في كل حركاته وسكناته، ولذلك قال ربنا في هذا المعنى: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)²، وقال: (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى)³.

وهذا الشعور ناتج عن التحلي بالإيمان وإدراك حقيقته وتزكية النفس بالاستقامة على الملة الصحيحة والدين القويم، وهو من إقامة العدل بين الفرد وذاته أولاً والفرد والمجتمع ثانياً، جاء في الأثر "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِحَارِثَةَ: يَا حَارِثَةُ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: مُؤْمِنًا حَقًّا. قَالَ: لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيْمَانِكَ؟ قَالَ: عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا؛ فَاسْتَوَىٰ عِنْدِي حَجْرُهَا وَدَهَبُهَا، وَكَأَنِّي نَاطِرٌ إِلَىٰ عَرْشِ رَبِّي. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَرَفْتَ قَالِزْمَ؟"⁴. فإذا كان الإيمان في القلب حقا ظهر للمتبصر أن الدنيا وملذاتها كماء أنزل من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشياً تذروه الرياح، وإذا كان مجازاً قصر النظر؛ إذ لم تبلغ قوته إليه والحمد لله رب العالمين.

ب- خلو الجوارح من ذكر الله عز وجل؛ فالقلوب إذا لانت، لانت الأيدي فتعطي من غير حساب كأنها عطايا مودع، ويلفت إلى ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أَنَّ فُقْرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَبْصُقُونَ وَلَا نَبْصُقُونَ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَلَا أَعَلَمَكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً. قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقْرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأُمُودِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ"⁵.

١ / الآية ٦٤ من سورة النساء.

٢ / الآية ٦٤ من سورة العنكبوت.

٣ / الآية ٤ من سورة الضحى.

٤ / أخرجه الإمام الطبراني في معجمه الكبير: بَابُ الْأَحْيَاءِ، الْأَحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ. وهو في مصنف ابن أبي شيبة: كِتَابُ الْإِيْمَانِ وَالرُّؤْيَا، وقد ورد باللفظ المذكور عند القاضي محمد بن عبد الله بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي رحمه الله (ت ٥٤٣هـ) في كتابه أحكام القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة سنة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج: ٢، ص: ٤٤٢.

٥ / أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الدُّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ.

فبالخلو الذي سلف تمرض القلوب ويصيبها التلف، وتأتيها القسوة من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة؛ قال ربنا سبحانه: {ألم يان ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فآل عليهم الأمد ففسدت قلوبهم وكثير منهم فاسقون}، وجاء عند إمامنا مالك عليه الرحمة في بلاغته أنه بلغه: "أن عيسى ابن مريم كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتفسد قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناس مبنئى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحموا الله على العافية" ١.

وهكذا يحرم أصحاب هذه القلوب من الكرم والسخاء والجود والعطاء؛ لأنهم بذلك يخشون الفقر كخشية الله أو أشد خشية ويحرصون على الحياة أشد الحرص عيادا بالله من ذلك؛ فلا عجب إذا رأينا أحدهم يقتل ولده خشية إملاق؛ لأنه يحسب أن الرزق من الدهر لا من الله.

(ت) العجب بالغنى والترفع أتلف الله من أتلف، فهو خلق سيء وشر بلية تعيق التوازن بين البشر، حتى أن المتعجب سولت له نفسه بأن يقول: {إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء} ٢ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لكن ربه قضى عليه بالقول: {سئكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمتم أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد} ٣، ثم أيقظ بعده عباده المقتصددين والسابقين بالخيرات بقوله: {كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحرح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} ٤، لأن ربنا يعلم أن الموت هادم اللذات وادعاء العجب بمتاع الدنيا، فالعبد من يستمع القول ويتبع أحسنه {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد} ٥.

(ث) - عدم التشيع بالقيم الروحية النبيلة، من ذلك الإيثار والزهد والورع ... التي أصبحت شبه منعدمة أو تكاد تنعدم، وقد برع في ذلك الأولون أيما براعة واتصفوا به أيما اتصاف؛ قال خير البرية ﷺ: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته" ٦. فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(ج) - الإعلام المغرض الذي لا يلتزم بالتوجيهات الإسلامية والضوابط الشرعية وكذا انعدام التواصل الإيجابي بين الأفراد والجماعات، فانتشار الكذب وإشاعة الشائعات وفقد المصادقية مما يعيق قيمة التكافل بين الفرد والمجتمع ويسهم إلى حد كبير في نشر الظلم وهناك العرض وأكل لحوم الناس والبعد عن الحق والانغماس في الباطل؛ قال ربنا: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} ٧،

١ / الآية ١٥ من سورة الحديد.

٢ / أخرجه الإمام مالك في موطنه: كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله.

٣ / الآية ١٨١ من سورة آل عمران.

٤ / الأيتان ١٨١ و ١٨٢ من سورة آل عمران.

٥ / الآية ١٨٥ من سورة آل عمران.

٦ / الآية ١٥ من سورة فاطر.

٧ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب ما يُحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها.

٨ / الآية ١٢٠ من سورة التوبة.

ولا يخفى كذلك على كل ذي لب أن قيم التعارف والتواصل هو ضرورة بشرية وحكمة ربانية تتم في إقامة صرح العدالة الاجتماعية والتكافل بين الأمم والشعوب، قال ربنا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ١.

ج- كذلك الجهل بالأولوي من جهة الشرع وانعدام تقديم مراعاة المصلحة العامة، وبذلك اختل نظام الحياة المجتمعية وكذا الاقتصادية وافتقد سلم الضروريات إلى الترتيب المطلوب شرعا وعقلا؛ ويظهر الوجه المشرق للعدالة الاجتماعية من هذه الزاوية خلال العهد النبوي لما قدم خير البرية صلى الله عليه وسلم بوحي من ربه مهاجرا نحو يثرب حيث كان أول الأعمال والمهمات المنجزة آنذاك هو العمل على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فكان من نتائج هذا المبدأ مقاسمة الأنصار ديارهم وأموالهم مع إخوانهم المهاجرين الفقراء وتقديم مصلحة الغير على مصلحتهم الشخصية فوصلت قيم الإيثار والتضحية التي يفقدها الناس اليوم أوجها وتحققت بذلك المصلحة العامة لمجتمع الصحابة وانتشر العدل الاجتماعي الذي لم يسبق له مثيل، هذا كله مع كفاف الأنصار وعفافهم ولا أعجب ولا أدل على ذلك مما رواه لنا الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه قال: "أتى رجلٌ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلْ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيِّفِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصَّبِيَّةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَتَوَمِّمِيهِمْ، وَتَعَالِي فَاطْفِي السَّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَقَدْ عَجِبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَجَّكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} ٢. وفي لفظ عند الإمام مسلم رحمه الله: "جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي مُجْهَدٌ، فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَاذْهَبِي بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صَبِيَّانِي، قَالَ: فَعَلِّيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيِّفْنَا فَاطْفِي السَّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِنَأْكُلُ، فَفُومِي إِلَى السَّرَاجِ حَتَّى تُطَوِّبِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَأَكَلَ الصَّبِيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيِّفِكُمَا اللَّيْلَةَ" ٣.

خ- قلة الرضى بقسم الله، فأمر القناعة بين الخليفة عزيز، وهو ما يفضي إلى الطمع والعيش في ضنك ولهف والترامي على أموال الناس بغير حق وأكلها بالباطل، وقد حسب بعضهم أن الغنى من هذا الباب آتٍ بئله هي فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٤.

١ / سبق تخريجه.

٢ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} الْآيَةَ.

٣ / أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ إِكْرَامِ الصَّبِيْفِ وَفَضْلِ إِيْتَارِهِ.

٤ / الآية ٤٦ من سورة الزمر.

فتحصيل القناعة والعفة والكفاف يفتح أبواب الرزق ويفيض النعم، وسبب في تسهيل فضلها على من حرم فيتحقق بذلك وعد ربنا القائل في محكم كتابه: {فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} ^١، للذين قالوا: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ^٢، وقال ربنا في قوم فقدوا هذا المدخل: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} ^٣، ودونكم قول خير البرية ﷺ: "وَأَرْضٌ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْيَى النَّاسِ" ^٤ فهو جامع لخيري الدنيا والآخرة، ورحمة ربك خير مما يجمعون.

المحور الثالث: أسس العدالة الاجتماعية وأثر مراعاتها على حياة الفرد والمجتمع

لاشك أنه يترتب عن تفعيل أسس العدالة الاجتماعية ومراعاتها نتائج هامة بحيث يجذ كل من الفرد والمجتمع ثمرات تتجلى فيما هو مادي ومعنوي، وسندكر في هذا المقام بحول الله ما حصرناه في العوارض ورؤوس المواضيع الآتية:

الفقرة الأولى: الآثار المادية

(أ) التمكين في الأرض ورغد العيش، وهو وعد من رب العالمين لعباده المؤمنين الصالحين المتكافلين المتضامنين المتأزرين القوامين بالقسط ولو على أنفسهم؛ قال ربنا تبارك وتعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} ^٥، وقال ربنا: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} ^٦، وقال: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} ^٧، {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} ^٨.

(ب) النماء وحصول البركة في كل صغير وكبير والعيش في الرخاء والازدهار والتمتع إلى حين اليوم الموعود، ولا أدل على ذلك من كلمة الزكاة في معانيها اللغوية وإشاراتها الباطنية علمها من علمها وجهلها من جهلها؛ قال ربنا: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ^٩، وقال رب العزة والنعم: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} ^{١٠}،

١ / الآية ١٧٤ من سورة آل عمران.

٢ / الآية ١٧٣ من سورة آل عمران.

٣ / الآيتان ٥٨ و ٥٩ من سورة التوبة.

٤ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مُسْنَدُ الْمُكْتَرِبِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥ / الآية ٥٣ من سورة النور.

٦ / الآية ٥٢ من سورة هود.

٧ / الآية ٦٨ من سورة المائدة.

٨ / الآية ٩٥ من سورة الأعراف.

٩ / الآية ١٠٤ من سورة التوبة.

١٠ / الآيتان ٦٧ و ٦٨ من سورة المائدة.

وقال جل وعز: {يَمَحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِيي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}،^١ وفي الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ"^٢.

(ت) - إشاعة روح المحبة والتضامن بين الخلائق، ومن ذلك إعانة المحتاج وسد حاجته والقرض الحسن وإنظار المعسرين وقضاء دين المدينين ...، بحيث يصير الملتزم بأسس العدالة الاجتماعية يبحث عن كل خلل مادي داخل المجتمع بغرض سده والظهور بمظهر حسن من خلال محيطه وذلك أضعف الإيمان، على أن إعانة الله لعبده رهينة بمد يد العون للآخر؛ قال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" إلى أن قال: "وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"^٣، وقال فيما رواه عن ربه سبحانه: "أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةً سَخَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ"^٤.

(ث) - إعطاء كل ذي حق حقه ووضع كل نصاب في موضعه وصرفه في وجهه الأليق به، وقد لاحظنا في وقتنا الظلم والطغيان الذي يسفر عن عدم توزيع الثروات والتركات وفق المنهج الرباني وكذا إهمال تنفيذ وصايا الميت، وكل ذلك خروج عن الحكمة الربانية المصرح بها غير ما مرة كقوله تعالى: (فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)^٥، وقوله: (فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)^٦.

(ج) - الإحساس بالعوز الاضطراري لله عز وجل في كل وقت وحين، وهذا كفيل بأن ينصب تفكير الغني نحو الفقير والقوي نحو الضعيف فتتجذر بذلك جذور التكافل والعدل لتسود بين الأفراد والجماعات؛ قال ربنا عن المشركين: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}^٧ وهو خليق بالمسلمين جدير؛ لأنهم عباد الله اختيارا كما هم عباد الله اضطرارا. والحمد لله رب العالمين.

الفقرة الثانية: الآثار المعنوية

مما يثمره مراعاة أسس العدالة الاجتماعية أيضا:

(أ) - يقظة الضمير والتعلق بالله وبما عند الله؛ قال ربنا: {زَيَّنَ لِلنَّاسِ حُوبَ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَوْبِنُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

١ / الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

٢ / أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب البرِّ والصَّلةِ والأَدَابِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَضُّعِ.

٣ / أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الذَّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذَّكْرِ.

٤ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: ٧].

٥ / الآية ١١ من سورة النساء.

٦ / سبق تخريجه.

٧ / سبق تخريجه.

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} ^١، وقال: {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} ^٢، وقال سبحانه: {وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} ^٣ إلى قوله: {وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} ^٤.

(ب)- وحدة الصف كالبنين المرصوص ووحدة القلوب في التراحم والتعاطف، فمراعاة تلك الأسس يحقق هذه المقاصد والحكم والقيم المعنوية وبإهمال تلك تتخلف هذه وتتعدم؛ قال سبحانه: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} ^٥، وقال عز وجل: {وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} ^٦، وقال ربنا: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} ^٧، {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ^٨، كما أن السنة النبوية حافلة بهذه القيم التي تخدم الوحدة وتحفز الأمة إلى الرقي، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا". وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ، وقوله: "لَا تَبَاعَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا. وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. وَلَا يَجُلْ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهَاجِرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ" ^٩، وقوله عليه أركى الصلاة والتسليم: "إِنَّ الشَّيْطَانَ ذَنْبُ الْإِنْسَانِ كَذَنْبِ الْعَنَمِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَيَأْكُمُ وَالشَّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ" ^{١٠}، وقوله ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحَمَىٰ" ^{١١}.

(ت)- شكر النعم المتجلي في صرفها في أوجهها وإيصالها لمستحقيها، وهذا قيد في دوام النعم وبقائها ضمانا للأمن والرخاء؛ قال ربنا: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ لِيَاهُ تَعْبُدُونَ} ^{١٢}، وقال أيضا: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَرْزُقَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} ^{١٣}.

١ / الأيتان ١٤ و ١٥ من سورة آل عمران.

٢ / الآية ٧٦ من سورة النساء.

٣ / الآية ٣١ من سورة الزخرف.

٤ / الآية ٣٤ من سورة الزخرف.

٥ / الآية ٩١ من سورة الأنبياء.

٦ / الآية ٥٣ من سورة المومنون.

٧ / الآية ٢٩ من سورة الفتح.

٨ / الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

٩ / أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

١٠ / أخرجه الإمام مالك في موطنه: كِتَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُهَاجِرَةِ.

١١ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: تنمة مسند الأنصار، حَدِيثُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

١٢ / أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ.

١٣ / الآيات ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ من سورة النحل.

١٤ / الآية ٩ من سورة إبراهيم.

وقال سبحانه: {أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} ١.

(ث) من النتائج كذلك ضمان الحياة الطيبة والسعيدة المشروطة بالإيمان والعمل الصالح، قال ربنا: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ٢، ونقيض ذلك قول الباري جل وعز: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} ٣. وما أكثر الناس الذين يعيشون سعادة وهمية زائفة تفضي بهم إلى قتل الأنفس عيادا بالله من ذلك.

ومما له تعلق بهذا المقام خلو المجتمع من الأمراض النفسية التي يصعب علاجها، فبتأمل الأسس السابقة نجد أن الغرض منها أيضا تحقيق الراحة النفسية للأفراد والجماعات بعيدا عن مظاهر القلق والتوتر والاكنتابات وبخاصة التي يعاني منها الإنسان اليوم؛ قال ربنا: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} ٤، وكذا خلوه من الأمراض العضوية والتي نتجت جملة منها بالاستعمال غير المحكم والمعتلن للنعم المستخرجة والخيرات المسخرة والتوجه غير المتوازن والرزين بين موارد الأرض وموارد السماء، قال ربنا: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} ٥، ولا يخفى على كل عاقل أن العبد مأمور بالإتقان والإحسان في كل شيء حوله؛ قال ربنا: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ٦، {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} ٧، {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} ٨، وقال الله المنعم المتفضل: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} ٩. والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

خاتمة وتوصيات:

وفي ختام هذه الدراسة الموجزة يبقى التساؤل دوما حول أولى الوسائل الناجعة لتحقيق عدالة اجتماعية وحية إسلامية في وقتنا الراهن بعدما وقع الانسلاخ من مبادئ التربية وتعاليم الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا؛ وهو نفس ما أثاره سيد قطب رحمه الله في كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام إذ يقول قدس الله روحه: «إن أسلوب التفكير الإسلامي القائم على الغايات الخلقية للأعمال لا يستطيع الالتقاء بأسلوب التفكير الغربي الحاضر القائم على الغايات النفعية للأخلاق، وهذا ما يجب علينا أن نحسب حسابه ونحن نعمل لتحقيق حياة إسلامية سليمة، فلا نحاول ترقيع هذه الحياة باستعارات نستوردها من الخارج؛ لأن هذه الرقع لن تستقيم مع نسيج تفكيرنا الأصيل ...»

١ / الآية ٢٦٥ من سورة البقرة.

٢ / سيق تخريجه.

٣ / الآية ١٢٢ من سورة طه.

٤ / الآية ٨٣ من سورة الأنعام.

٥ / الآية ٢٨ من سورة الشورى.

٦ / الآية ١٩٤ من سورة البقرة.

٧ / الآية ٧ من سورة الكهف.

٨ / الآية ٢ من سورة الملك.

٩ / الآية ٣٠ من سورة الكهف.

إن استئناف حياة إسلامية لا يتم بمجرد وضع تشريعات وقوانين ونظم مستمدة من الشريعة الإسلامية؛ فهذا ركن واحد من ركنين وهو الركن الثاني لا الأول، وأما الركن الأول فهو العقيدة الصحيحة التي تفردها الله سبحانه بالألوهية... أما العدالة الاجتماعية فهي جزء من تلك الحياة الإسلامية لا يتحقق كاملاً إلا بتحقيق تلك الحياة، ولا يكفل له البقاء إلا بإقامتها على أسسها الوطيدة... لذلك كان التشريع الإسلامي أدنى إلى الاتباع والطاعة؛ لأنه يعتمد على عقيدة دينية.

ولذلك أيضاً يجب أن تكون نقطة البدء هي استحياء هذه العقيدة لتكون سندا للنظام التشريعي الذي نشير به لتحقيق حياة إسلامية صحيحة... يجب إذن أن نعيد بناء العقيدة الإسلامية على الأسس التي بناها في نفوس الأفراد والجماعات قبل أن ن فكر في موضوع التشريع الإسلامي الذي ينظم الحياة.

ولكن كيف يتسنى لنا أن نكون عقيدة إسلامية بثقافة غربية ووسائل تربية وطرق تفكير هي في صميمها غربية وهي في صميمها معادية للفكرة الإسلامية؟ - إلى أن قال - فلا بد أولاً من التخلص من طريقة التفكير الغربية، ولابد من اتخاذ طريقة تفكير إسلامية ذاتية لنضمن أن يجيء النتاج خالصاً غير هجين^١.

أهم نتائج البحث:

من أهم نتائجه أن:

- موضوع العدالة الاجتماعية تناوله كثير من الباحثين المتخصصين والمفكرين لكن وجهة نظري المتواضعة إليه التي بثتها في هذه الأوراق لم يسبق إليها، ويبقى كتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام" لسيد قطب رحمه الله من المراجع التي عليها المدار في هذا المجال، وقد عملت على الاقتباس منه في أربعة مواضع.

- موضوع العدالة الاجتماعية هو موضوع جدير بالاهتمام وبخاصة في وقتنا الراهن الذي كثر فيه الظلم الاجتماعي من كل جهة وفي كل قطر وتفشى فيه البغي وكثرت فيه المنكرات وفسدت فيه النيات وخربت فيه الذمم.

- الدين الإسلامي هو وحدة متكاملة لا يقبل التمييز ولا التفرقة بين مكوناته، فهي مترابطة متكاملة عقيدة وشريعة وسلوكا وما أسس العدل الاجتماعي إلا أصل من أصوله وفرع من فروعها.

- العدل هو ضد كل جور وحيف، فتحقيقه من البشر أعظم إنجاز والتغاضي عنه أكبر جرم؛ لذلك جعل الظلم في الميزان ظلمات يوم القيامة عياداً بالله من ذلك.

- تحقيق العدالة الاجتماعية يراعى فيه وحدة الكون، فهو مرتبط ببعضه ببعض كالسبب مع المسبب ومن ذلك حق البيئة بتجنب الإفساد في الأرض والاختلال بالتوازن البيئي؛ قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ^٢}.
٢

- أسس العدالة الاجتماعية كرسها نصوص الوحي من كتاب وسنة وامتثلها الصحابة الأجلاء فصدق فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي"^١.

١ / العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص: من ١٩٥ إلى ١٩٧.

٢ / الآية ٣٩ من سورة الأنعام.

- يلاحظ أن أسس العدالة الاجتماعية يصعب حصرها وتقييدها لكن ما ذكرته يقتدى به في هذا المقام لأنه استقراء للنصوص الشرعية ويقاس عليه سائر الفروع والجزئيات المنطوية تحت الضوابط والأسس المذكورة.

ونفس الشأن بالنسبة للأثار المترتبة عن مراعاة أسس العدالة الاجتماعية المنتظمة في سلك المحور الثالث من هذا البحث إذ يعسر جمع الشمل بخصوصها لكن يمكن القول أنها تتلخص في حصول السعادة الدنيوية والفوز بالآخرة والله أعلم.

- التماشي مع سنن الله الشرعية والكونية كفيل بتنظيم حياة الفرد والمجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية على أوسع نطاق وبحق.

- اختيار المولى عز وجل للأرض مهادا وبساطا يحتم على العقلاء إبقاءها سالحة كما خلقها الله تعالى؛ فهو أساس للعدالة الاجتماعية، وتحقيق هذه الأخيرة رهين به.

- كل كائن حي عاقل وغير عاقل له الحق في العدل الاجتماعي إذ الكل أمة واحدة يشبه بعضها بعضا.

- أولى الوسائل الناجعة لتحقيق عدالة اجتماعية وحياة إسلامية في وقتنا الراهن هو العمل على ترسيخ مبادئ التربية وتعاليم الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، فالتنشئة على القيم هي التحدي الأصعب في زمننا كيف لا وهو الغاية من بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المعلن عنها بقوله: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"^٢.

- يظهر مما سبق أن للعدالة الاجتماعية معيقات وتحديات إلا أنه يمكن تجاوزها بترسيخ ثقافة الحقوق والواجبات وأن في مقابل الحق هناك الواجب ينبغي استيعابه والعمل على إنجاز له لنيل الحق والجزاء سواء في علاقة العبد مع ربه عز وجل أو في علاقته مع نفسه أو في علاقته مع غيره.

- بما أن للعدالة الاجتماعية أسسا جلية في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن مراعاتها ينتج لنا ثمرات إن على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع؛ لأن الغاية من وضع الشريعة الإسلامية جلب كل منفعة ودرء كل مفسدة؛ {وَأِلَىٰ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُتِرْكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}^٣. والحمد لله رب العالمين.

{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}؛^٤

وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

١ / سبق تخريجه.

٢ / أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعند البيهقي وغيره: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ".

٣ / الآيات ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ من سورة الأعراف.

٤ / سبق تخريجه.

لائحة المصادر والمراجع:

- أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة سنة: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، طبعة: (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى سنة: (١٤١١هـ/١٩٩١م).
- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر - بيروت، طبعة: (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لمؤلفه أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات (ت ٦١٧هـ)، تحقيق: أحمد التوفيق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، الطبعة الثانية سنة: (١٩٩٧م).
- السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، وأشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى سنة: (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- سنن أبي داود. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- صحيح الإمام البخاري. لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة - بيروت، الطبعة الأولى سنة: (١٤٢٢هـ).
- صحيح الإمام مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام لسيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٣٨٦هـ)، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة سنة: (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى سنة: (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
- المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى سنة: (١٤٠٩هـ).
- المعجم الأوسط للحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية (د.ت).

- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مملكة البحرين، الطبعة الأولى سنة: (٢٠١٣هـ/٢٠١٣م).
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤/١٤٢٧هـ).
- الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى سنة: (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

جميع الحقوق محفوظة © 2020، الباحث: ياسين ربيع، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.

(CC BY NC)